الوطنية فى الشعر العربي في تشاد

عبد الواحد حسن السنوسي (نموذجاً)
د. ثريا تجاني كندل
مدير إدارة الشؤون الإدارية والموارد البشرية
ومحاضر بكليتي اللغة والآداب والفنون والاعلام
وكلية العلوم التربويه – جامعة انجمينا
تشاد

الاهداء

- إلى روح الفقيد الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي.
- إلى كل مواطن تشادي يؤمن بالوطنية.

إليهم أهدي هذا البحث المتواضع

الشكر والتقدير

الشكر لله الذى وفقني لدراسة هذا العنوان الذى يعد من أهم المواضيع التي تخدم الوطن والمواطن.

ثم الشكر أجذله كلية الآداب بجامعة المنوفية بجمهورية مصر العربية التي أتاحت لى فرصة المشاركة بهذا البحث المتواضع فى المنتدى الثقافي البيئي الدولي الثاني والتي تحت عنوان: العلوم الانسانية وتحديات العصر.

ثم الشكر للأخ والإبن **د. إبراهيم برمة** الذى قام بالتنسيق بينى وبين منظمي المؤتمر حتى نهاية المنتدى.

ملخص البحث:

منذ أن عرف الإنسان الوجود فى هذه الحياة عرف موطنه الذي ولد، وبأرضه افترش وبسمائه استظل، ومن مائه شرب، ومع مجتمعه اختلط وبهوائه استنشق.

فالوطن هو نبض القلوب وشريانها، إليه يحن كل غائب، وينتمي إليه كل مخلص يحميه بنفسه وماله وعرضه.

لذا ارتبط الإنسان ارتباطاً وثيقاً بالوطن منذ القدم، فحب الوطن والانتماء له والحنين إليه جعل الشعراء يتغنون به عبر مراحل الشعر المختلفة، منذ العصر الجاهلي كان الشاعر يستهل قصيدته بالوقوف على الديار والأطلال بما فيها من مواقف شعورية تجيش فيها بالحنين إلى المكان أو المنزل المهجور الذى يحمل الذكريات والحوادث التى في ذاكرته فيبدأ بالمقدمات الطللية التى تفرضها طبيعة الحياة المتنقلة.

فيلازم الشاعر حب الوطن والحنين له والشوق إليه عبر المراحل التى مر بها الشعر العربي إلى العصر الحديث، ولقد تطور حب الوطن مع تطور الحداث والصراعات والقضايا المختلفة وتناوله الشعراء فى مختلف قضاياهم ممثلة فى قصائدهم ومن هؤلاء الشعراء الشعراء التشاديون الذين تغنوا بالوطن واصفين أهله – طبيعته – الانتماء إليه والشوق له والحنين إليه ومنهم: الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي الذى يمتلك الحب الصادق والعاطفة المؤثرة تجاه وطنه، كما صور عبد الواحد الوطن كيانا يحمل داخل ذاته المجترة على المغادرة ليظهر مدى حنينه لوطنه وتمسكه بأرضه، واعتزازه بترابه وحماسته للدفاع عنه.

فاتخذ الشاعر صورة الانسان بما فيه الخير والجمال، كما اتخذ مفهوم الأنثى على ما ترمز به من ارتباط عاطفي بين الرجل والمرأة ورمز الأم التي تحن إلى ابنها وتمد ساعديها لتحضنه.

ثم ينتقل الشاعر من وطنه الصغير تشاد إلى وطنه الكبير افريقيا ثم الى الوطن الأوسع من العالم العربى والاسلامي لتقوى الوطنية الصادقة.

هكذا يعبر الشاعر عن الواحد عن ذاته الفردية إلى الهوية والانتماء إلى الوطن الذى يحمل نبضاً فى صدره إلى دلالة رمز يحمل بمفهوم الأُم والمحبوبة عبر المشاعر والعواطف الجياشة والحنين والشوق، وتناول القضايا المختلفة التي فرضها عليه عوامل الحياة اليومية المختلفة.

المقدمة:

إن الشعر العربي في تشاد جزء لا يتجزأ من الشعر العربي، ويحمل كل خصائصه الفنية ومميزاته ودلالاته وأغراضه المختلفة وكل ما يحمل من دلالة ورموز توحي على الوطنية وقضايا الوطن والمواطن خاصة وقضايا العالم العربي والاسلامي عامة.

والوطنية من أهم المواضيع التي اهتم بها الشعر التشادي عبر مراحله التى مر بها وقد أشار الحديث النبوي إلى أهمية الوطنية وذلك عندما أُخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة حيث قال: "والله إنك لخير بلاد الله وأحب بلاد الله إليّ لولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت"[1]

وعليه تناول الشاعر عبد الواحد موضوع الوطن والوطنية فى كثير من قصائده المميزة والتى استمت بصدق الوطنية، رغم أن الوطنية تناولها شعراء تشاد كبقية شعراء العالم العربي والاسلامي.

(1)

أسباب اختيار الموضوع:

فالباحث عندما يختار موضوعاً يجب أن يحقق المنافع والمكاسب لمجتمعه عامة وللبشرية عامة لذلك تعد مثل هذه الدراسة فى ميدان النقد الأدبي فاختياري لهذا الموضوع يرجع للأسباب التالية:

- أردت أن أضع لبنة من لبنات الأدب والنقد على اللبنات التى سبقني فى وضعها بعض الباحثين.
- مشاركة البحث فى مثل هذه المنتديات ضرورة لنقل صورة الوطنية للعالم الاخر.

فروض البحث:

- ما هي الوطنية؟
- مدى علاقة الوطنية بين الشعر العربي فى تشاد والشعر العربي.
- هل استخدم الشاعر عبد الواحد دلالات ورموز تدل إلى الوطنية الصادقة.
- هل تناول الشاعر الوطنية من فيض فطرته والهامه.

أهمية البحث:

تكمن فى:

- ان الوطنية فى الشعر العربي فى تشاد من القضايا الهامة التى تناولها الشعراء.
- أن شعر الوطنية يعالج القضايا الوطنية.

الأهداف:

يهدف هذا البحث المتواضع إلى:

- التعرف على رواد الوطنية فى الشعر العربي فى تشاد.
- الوقوف على شعر الوطنية للشاعر عبد الواحد.
- الكشف عن الدلالات والرموز التي استخدمها الشاعر عبد الواحد والتى ترمز إلى الوطنية.

منهج البحث:

تتبعت فى دراسة هذا البحث المتواضع المنهج التكاملي، إذ أنه أمثل المناهج فى مثل هذا المجال.

هيكل البحث:

يحتوى هذا البحث الذى هو بعنوان: (الوطنية فى الشعر العربي فى تشاد، عبد الواحد حسن السنوسي نموذجاً) على فصلين وأربعة مطالب وهى كالآتي:

بدأته بالمقدمة، ويشمل:

المبحث الأول : الوطنية فى الشعر العربي.

المطلب الأول : الوطنية فى الشعر العربى عر مراحله.

المطلب الثانى: الوطنية فى الشعر العربى فى تشاد.

المبحث الثانى: الوطنية فى شعر عبد الواحد حسن السنوسي.

المطلب الأول : التعريف بالشاعر.

المطلب الثانى : خصائص الوطنية فى شعر عبد الواحد.

- **ثم ذيلت البحث بالخاتمة التى أوردت فيها نتائج البحث والتوصيات ثم فهرس المصادر والمراجع.**

بهذا أسأله العلي القدير أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع بصورة تخدم البحث العلمي وأرجو من الله أن يتقبله منى.

المبحث الأول

مفهوم الوطنية في الشعر العربي

وطن : اسم، والجمع أوطان، الوطن مكان إقامة الانسان ومقره وإليه انتماؤه، ولد به أم لم يولد.

الوطن : مَرْ بِضُ البقر والغنم الذي تأوي إليه، والجمع أوطان

الوطن : الأم : الوطن الأصلي موضع الولادة وطن المولد، والجمع أوطان.

وطّن فلان : بالمكان، أقام به وسكنه وألفه واتخذه وطناً.

وطّن فلانا : أنزله سكنا يقيم فيه، وطّن البدو : نقلهم من حال البداوة والترحال إلى الإقامة الدائمة.

وطّن الشخص بالبلد: أتخذه محلاً وسكناً يقيم فيه[1]

الوطنية : اسم مؤنث منسوب إلى وطن.

أما فى القاموس المحيط:

الوطنية تعنى حب الوطن، والشعور بارتباط باطني نحوه فهو حب الأمة للوطن هو قطعة معينة من الأرض يرتبط بها الفرد.

[1] أنيس ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط: استشارات، ط2 ، طهران.

خوضـا إلـى الـوطن البعيـد جـوانحي *** إن القلـــوب مـــواطن الأوطـــان

فالوطنية هى مجموعة من المشاعر تنتاب القارئ لمجرد ذكر الوطن، أما بالنسبة للشاعر فهو شعوراً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً وجدانياً وعاطفياً، واحساسا يتدفق من أعماقه فى شكل كلام بليغ يقع على نفس المتلقى من خلال احساسه المرهف فالوطن يسكن قلب الشاعر أينما كان، ويتأثر بكل ما يستجد في وطنه فيفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتغنى بالأبطال والأمجاد ويفتخر ببطولاته وانتصاراته، وكل ما ابتعد الشاعر عن وطنه ذرق شوقاً وحنيناً فياضاً لا ينقطع، وعلاقة انتمائه بوطنه علاقة روحية كطفل يستجدى بأمه، ويغزل القصائد كالولهان الذى ينتظر محبوبته.

فارتباط الشاعر بوطنه الشعور بالمواطنة والانتماء والحب والولاء لهذا الوطن، كما تختلف شعور الشاعر عن الانسان العادى فى علاقة الحب التى تربطه بوطنه ويبذل الشاعر جهداً ليعبر عن حبه لوطنه وأحاسيسه ومشاعره تجاهه عبر القرون والمراحل التى يمر بها الشعر.

المطلب الأول: **الوطنية فى الشعر العربي عبر مراحله**

يقول: د/ طامى غليب: تمثل القصيدة التى وصلت إلينا من شعر ما قبل الاسلام الجذور الوطنية التي تجسدت هندسة في معمارية القصيدة التى كانت تستهل بالوقوف على الأطلال تلك الواقعة التي تُذكر فيها المنازل والأمكنة والديار بما تحيل عليه من مواقف شعورية تجيش فيها الحنين إلى مكان مغادر أو منزل مهجور مازال المرتحل عنه يحمل عنه ذكريات وحوادث تعلقت فى ذاكرته، تلك المقدمات الطللية، وطبيعة الحياة التى اعتمدت على قانون الرحيل والانتقال من مكان لآخر ... فالوطن وما يمثله من أماكن جغرافية وذكريات نفسية مرتبطة بمواقف شعورية لتصبح مكوناً من مكونات الإنتماء والهوية[1]، ولعل أول من وقف على الأطلال وقيل أنه بكى واستبكى ووقف واستوقف الشاعر امرؤ القيس في مطلع معلقته قائلا:

قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل بسقط، اللوى بين الدخول فحومل[2]

وبعد ظهور الدين الاسلامي الحنيف واتساع رقعة الدولة الإسلامية ... وبنيت المدن ودور العلم وتنوعت الثقافة، فكانت التجربة الشعورية الوطنية فى الشعر العربي لتصبح

(1) د/ طامى غليب.
(2) ديوان امرؤ القيس : ص

الأماكن والمدن ذات أبعاد ودلالات نفسية تربط الانسان بأرضه وبذلك يصبح لذكر الاسم (المكان) دلالته الجغرافية الرامزة إلى انتماء نفسي أكثر من دلالتها الجغرافية يقول أبو تمام:

بالشـــام أهلـــى وبغـــداد الهـــوى وأنا بالرقمتين وبالقساط إخواني[1]

هكذا تطور مفهوم الوطنية فى الشعر العربى من تعبير عن الذات الفردية الى هوية تجسيد الانتماء الى الوطن الذى يحمل نبضاً فى الصدر.

ولعل الشاعر أحمد مطر ضمن الشعراء فى العصر الحديث الذين تناولوا الوطنية فى شعرهم فيتعجب للكون الذى يحبو فوق أهدايه ويتحدث عن تلك المسافة بينه وبين موطنه **وهو في المنفى مجروحٌ قائلا:**

عجباً !!
ما لهذا الكون يحبو
فوق أهدابي إذن ؟!
ولماذا تبحث الأوطان
فى غربة روحى عن وطن
ولماذا وهبتنى امرها كل المسافات والغى عمره كل الزمن[2]

ويقول أيضا فى قصيدته: الدولة الباقية:

ليس عند وطن
أو صاحب
أو عمل
ليس عند ملجأ
أو مخبأ
أو منزل
كل ما حولى عراء فاحل
أنا حتى من ظلالي أعزل
وأنا بين جراحي ودمي انتقل
معدمٌ من كل أنواع الوطن[3]

(1) ديوان ابو تمام: ص
(2) العمال الكاملة: لأحمد مطر، لافتات العالمية: ص
(3) أحمد مطر: الأعمال الكاملة: لافتات العالمية : ص261.

هذا هو أحمد مطر يرى نفسه يلا وطن ولا منزل يلا عمل يلا ملجأ وفقد الثقه ممن حوله عاش وحيداً كئيباً حزينا.

وها هو أحمد شوقي شاعر من شعراء الوطنية فى العصر الحديث. فحب الوطن يرتبط بالشاعر أحمد شوقى ارتباطا مقدساً وكانت عاطفته الوطنية صادقة، والوطن عنده جوهرة نفيسة وغالية فى قلبة وكانت عاطفته الوطنية لا يقبل فيها المساومة لا التغيير **قائلا:**

أيـــا وطنـــي لقتيـــك بعـــد يـــأس كـــأني قـــد لقيـــت بـــك الشـــبابا
وكـــل مســـافر ســـيؤوب يومـــا إذا رزق الســـــلامة والإيابـــــا
ولـــو أنـــي وعيـــت لكنـــت دينـــي عليـــه أقابـــل الحـــتم المجابـــا
أديـــر إليـــك قبـــل البيـــت وجهـــي إذا فهمـــت الشـــهادة والمتابـــا

ويقول

وسـلا مصـر: هـلا سـلا القلـب عنهـا أو أسّـــا حّرجـــه الزمـــان المؤسِّـــي؟
كلمـــا مـــرّت الليـــالى عليـــه رق والعهـــد فـــي الليـــالي تقسِّـــي

ويقول:

وطنـــي لـــو شـــغلت بالحلدعنـــه نـــازعتني إليـــه فـــى الخلـــد نفســـي

الى قوله:

وللأوطـــان فـــى دم كـــل حـــر يـــد ســـلفت وديـــن مســـتحق
ومـــن يســـقى ويشـــرب بالمنايـــا إذ الأحـــرار لـــم يســـقو ويســـقوا

الى قوله:

وللحريـــــة الحمـــــراء بـــــاب بكـــل يـــدٍ مضـــرجه بـــدق[1]

بهذا قد تناول الشعراء الوطنيه غير مراحله المختلف بالاصول الى الشعر العربي فى تشاد.

المطلب الثاني: الوطنية فى الشعر العربي فى تشاد

إن الشعر العربى فى تشاد مثله مثل الشعر العربي والذى تأثر به كثيراً من حيث تناول الشعراء لأغراضه ومواضعه المختلفة منها الوطنية، ولا تكاد تخلو كل المراحل التي بها الشعر العربي فى تشاد بدء من مرحلة البداية المتصلة والبداية المنقطعة مروراً بالمرحلة التى تليها وهي مرحلة اليقظة والازدهار والذى كان الشيخ عبد الحق السنوسي رائداً لها،

(1) أحمد شوقي.

وهذه المرحلة قد تزامنت مع حركة البعث والاحياء التى قادها محمود سامي البارودي فى مصر وسائر أنحاء العالم.

ومن قضايا شعر الشاعر التشادي عبد الحق السنوسي رائد هذه المرحلة القضية الوطنية، وأنه تميز بخاصية انفرد بها قبله المتنبي فى الشعر العربي وهى أنه مهما كان موضوع القصيدة فإنه يبتدئها بان يتغنى بنفسه ويقف على الديار والأطلال يبكيها كما فعل امرؤ القيس ثم ينتقل الى موضوع القصيدة كما فعل فى نوتيته التى بدأها بقوله:

سائل ديار ابشي عن جيراني ... وارو الحديث لهم عن الجدران
وأطل وقوفك لى يرمل أم كامل ... نقضي لبانات الفؤاد العاني
والمدد لذيذ حديث سكان اللوى ... متسلساً لأبي زناد جنات
وانشد هنالك عن فؤاد ذاب لي ... أسفاً بمنزل زهرة النسوان[1]

كما نجد الشيخ الشاعر محمد الحلو آدم جبر من نفس هذه المرحلة، وهو شاعر إقليمي، يقول عنه الشيخ إبراهيم صالح الحسيني (هو أحد العلماء وجهابذة المحققين الفضلاء)[2]، حيث بدأ الشاعر منظومته كما بدأ به الشعراء الاقدمون بالوقوف على الديار والأطلال وذكر الأمية فيقول في مطلع القصيدة:

ذهبت سعاد بنومتي ورقادي ... لا خير فى نوم وحب سعاد
إن الأحبة ازمعوا سفراً إلى ... بيت الاله وزور الهادي
يهمهم والله بلطف يعدهم ... بي اللحوق بهم مع الرؤّاد[3]

بهذا المطلع بدأ الشاعر منظومته الطللية التى ذكر فيها مغادرة الأحبة للمكان ولابد اللحاق بهم، وقد يختلف تناول الشعراء للوطنية فى شعرهم منهم من وقف على الديار والاطلال وذكر الأحبه ويحن الى المقام ثم تطور مفهوم الوطنية عند الشعراء فى تشاد ومثلهم مثل شعراء العالم العربي والاسلامي ومنهم من يتناول قضية الوطنية فى رفض ظلم المستعمر واستبداده وقتله الأبرياء من هؤلاء الشاعر الرماجي الذى يمثل فترة الانحطاط والركود فى الشعر التشادي، حيث تناول قصيدته المشهورة التى يرثي فيها شهداء مجزرة الكبكب مصوراً بشاعة الحدث وطغيان المستعمر فى قوله:

---

(1) ابراهيم صالح الحسيني: الاستذكار لما لعلماء يرنو من الآثار والاخبار، تضمن ترجمة المؤلف وشيوخه وأسانيده، ص

(2) نفس المصدر: ص145.

(3) قصيدة مطبوعة على الآلة الكاتبة: مكتبة الباحثة.

جاءونـــا قـــوم لا أمـــان فـــى قلـــوبهم مملـــــــوءة قـــــــبح ودم أســــــود
رمـــصٌ، زعـــرٌ، ثـــم خضـــر عيـــونهم جـــــرطٌ، وحمـــــر كالخفـــافش نكّـــدِ
صـــلب رقيـــق، ثـــم كبـــر بطـــونهم ورؤوســـهم قـــبح صـــغار حسّـــدِ[1]

وتتوالى ذكر الوطنية على لسان الشعراء عبر المراحل المختلفة منها: مرحلة الانتباه واليقظة، ويمثل هذه المرحلة شعراء من الثلاثينيات إلى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، والتى عادت فيها الحركة العلمية من جديد بعد مذبحة الكبكب الشهيرة، وكان شعراؤها ممن تلقوا علومهم فى الخارج فى الدول العربية والاسلامية، وتفاعلوا مع أحداث وطنهم، واطلعوا على الكتب الأدبية إضافة الى قراءتهم للقرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم فنظموا شعرهم في القضايا المختلفة ومن هؤلاء الشيخ محمد عليش عووصه يقول في قصيدته التى مطلعها:

صـــاح عـــرج علـــى ريـــاض الخزامـــي قـــــف رويـــــداً ببشـــــر ســــــلاما
واســـــال الوافـــدين ركـــب التهـــاني هـــل أنـــاخوا بـــدار ســـلمى الهيامـــا
أو رأو مـــن يجـــوب تلـــك الفيـــافي ســـالبا عـــزل مـــن يطيـــل الملامـــا[2]

كما يعتبر الشاعر عبد الله يونس المجينري من رواد هذه المرحلة ومن رواد الحركة الشعرية فى تشاد عامة وودّاي خاصة، حيث انفرد فى شعره الذى يمثل الروح الوطنية، ويرفض الجهل والتخلف ويستنهض الهمم، ويحث المجتمع على مواكبة العصر وركب الحضارة حيث يقول فى قصيدته التى يحث فيها الفتاة التشادية.

ألا يـــا فتـــاة الشـــاد لاتتخلفـــي عن السير فى ركب النبات المثقف
أمـــا يـــك مـــن ذا يـــدرك الركـــب هاديـــا سوى من مضى فى سيره جدّ ساريا
ولـــيس علـــى مـــا فـــات منـــك تأســـيا وأنت على آثار من سار تختفي[3]

أما المرحلة الأخيرة وهى مرحلة العصر الحديث والذى قسمت إلى ثلاث اتجاهات شعريه فى الأدب التشادي، وتتمثل في: الاتجاه الديني الصوفي – الاتجاه المحافظ – الاتجاه التجديدي، والذين هم تناولو هم الوطن والموطن وقضايا العالم العربي والاسلامي وكان شعرهم يتميز بكثير من القضايا الوطنية والمرأة والقضايا الافريقية والاسلامية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ورفضهم للظلم والاضطهاد، وأضافوا لمسات فنية جديدة

(1) قصيدة مكتوبة على الآلة الكاتبة: مكتبة د/ حامد هارون.
(2) الشيخ محمد عليش عويضه: كتاب المنحة الازهرية فى فقه المالكية، ص
(3) قصيد بخط الشاعر: مكتبة الباحثة .

إلى نتاجهم الشعري، هؤلاء فتحت أعينهم على عالم حضاري جديد، وحضارة غربية تهدد هويتهم، كما رأوا تغير العالم حولهم، كل هذه الأسباب ساعدتهم فى التعبير عن تجاريهم ومشاعرهم الذاتية بأساليب تختلف عن سابقيهم من الشعراء فيها من الحدة والعاطفة والخيال والرمز والدلالة والمعاجم الجديدة والمستحدثة: ومن هؤلاء شاعرنا عبد الواحد والشاعر عيسى عبد الله والذى يعتبر رائد الاتجاه التجديدى فى الشعر التشادي.

فالشاعر عيسى عبد الله ممن تناولو قضية الوطنية بأشكال مختلفة وبأساليب متعددة منها وصفه لـ (كرفي)[1] في **قوله:**

بـــــلادي جـــــلالٌ وســـــحرٌ حـــــلالٌ ... ومـــــاءٌ زلال وطـــــرف كحيـــــل!
هـــي الرمـــز عنـــدى ومعنـــى المعـــاني ... غنـــىً فـــى ســـخاء وفقـــر نبيـــل!
وفيهـــا نعـــيمٌ (ولـــي منـــه ريـــمٌ!) ... وشـــعب كـــريم، وحـــظ بخيـــل!
ومـــا قـــد حـــوت أرضـــها – مـــن مهاهـــا ... إلـــى قردهـــا – فـــي عيـــوني جميـــلّ
فعشـــقي قراهـــا كعشـــق الصـــحاري ... مقـــــيمٌ ولا يعتريـــــه الـــــذبول

الى أن يقول:

لجـــيّ بـــلادي سأســـخو دوامـــاً ... بجهـــدى وفكـــرى ومـــا قـــد أقـــول
فما العمر إلا جناهاّ ففيها ... ترى كالثواني وتعطى الفصول![

بهذا الاسلوب الفني الجميل والمعاني يتغنى عيسى ببلاده تشاد ويصف تلك المنطقة التى تسمى (كرفي) بهذا الوصف الرائع لما فيها من الجلال والجمال والشعب الكريم وكل ما تحتويه هذه المنطقة حتى القرود جميلة فى عينه، فهذا هو الحب الصادق تجاه الوطن، وفي نفس القصيدة بمجد البطولات التشادية ومؤسسى حركة فرولينا من سياسين وقادة وهم الذين صاغوا برنامج الحزب السياسي الذى أصبح برنامجاً لفرولينا فيما بعد – فيقول:

واعجـــاز أبتشـــه[1] المفتـــدى – فـــي ... رفـــاقٍ – ثراهـــا أمـــامي دليـــل
ويونـــو[2] الـــذى خـــط برنامجـــاً مـــن ... نقـــاط ثمـــانٍ إليهـــا نـــؤول

[1] كرفي: منطقة تقع فى الجنوبي الغربي من تشاد.

فتقفـــوا جـــلاءً، ونرضـــى ابـــتلاء – ولاءً إلـــى أن يتـــاح الوصـــول
... وإلاّ فكالبـــا قلانـــي[3] نمضـــي فـــداءً، فقـــد مهّـــد الّـــدرب جيـــل[4]

يذكر الشاعر عيسى القادة الذين لهم السبق فى تأسيس الثورات ضد الظلم والاضطهاد والقمع الذى يعانى منه الشعب التشادي آنذاك إلى أن يصلوا إلى المبتغي وهى الحرية والعدالة والحكم الرشيد وكل هذا قد مهدته تلك البطولات الشامخة القوية.

كما يهتم الشاعر عيسى بقضية المستعمر ويصفة بالجراد فى قصيدته: (من الشمال بالجراد) فيقول فيها:

ويرحف الجراد، غير أنها بلا بصيرة ولا بصر:
فلو رأيتها تشمّر الثياب تارةً – وباجتهاد! –
تفلسف الوجودَ أو تفسّرُ القضاء والقدر،
وتارةً تردد الحديث حول قمة المفُرَنِيسِينَ أو فصائح الألمُبياد ..
فتمضغ التحذلق المعاد ...[5]

ويقول:

وفي نهاية المطاف يذهب الجراد ..
بدون رجعةٍ ! – إلى سَقَرْ!
فمجدوا الثبات والصّمود والعناد ..[6]

فى هذا الأبيات يصف الشاعر عيسى المستعمر بالجراد الذي يأكل الأخضر واليابس وكل ما يجده حوله إذا نزل بأرض أو شجر أو كل شئ، فلم يترك المستعمر خيرات البلد ويسيطر على العقول البشرية ولكن في النهاية يخرج المستعمر بدون رجعة ويدعو عليه بأن جزاءه نار سقر، ثم يدعوا الشعب بالعناد ضده وأن يكون صامداً ثابتاً أمام الغازى.

ولم يتوقف عيسى عند بلد بل ينتقل ويمجد الشعوب الافريقية ومناضليها وذلك فى قصيدته: (يا أسمرا) التى نظمها تحية تجلة وتقدير للثورة الإرترية، على أمل بزوغ النصر الوشيك يقول فيها:

يا أسمرا

---

(1) نفس المصدر: ص217.
(2)
(3)
(4)
(5) عيسى عبد الله: ديوان: حَذو ما قالت حَذام: شُعر: مجلس الثقافة العام، ص122.
(6) نفس المصدر، ص 124.

يا قرية جميلة .. يا أجمل القرى
يا مهبط الربيع .. بل يا جنة الذّرى:
إليك – يا جميلتي: – أقدم السلام،
من بقعة شقيقة أسطر السّلامْ،
أخط أسطرا ..[1]
إلى أن قال:
يا أسمرا :
سلام ! ..
إلى الرعاة والمزارعين أطيب السلام ..
فصيلةً فصيلةً، معسكراً معسكراً:
فالحّر لن يضامْ
ما واجه العدو ثائراً مخطّطاً وفاتكاً غضنفرا ![2]

بدأ الشاعر عيسى برسم لوحة فنية جميلة يصف فيها أسمرا عاصمة ارتريا ثم يرسل تحياته لكل شرائح مجتمعها من مزارعين ورعاة وعساكر ويحثهم على التقدم في مواجهة العدو والقضاء عليه.

ثم ينتقل الى العالم العربى والاسلامى تضامناً مع الشعب العراقي يحث فيها الشعب العراقي ورغم ما عاناه من الغرب من مكائد فليكونوا كأجدادهم الذين سبقوهم لن يرضوا بالذل والاهانة للشعب بما فيه النساء والأطفال الرضع فيقول فى قصيدته:

(لحق الرضيعة):

وحق الرضيعة...
على صمتها – فى حليبٍ وبعض الوسائدْ ...
ومعى مصلىّ وحوزات علمٍ وديرٍ وبيعة ...
ونهجٌ يفي باندحار المكائد ..
الأكل هذا سيبقى لديكم وديعة :
فأمّا حَفِظْتُم – يرغم الشدائد –
وصنتم ، فكنتم – كأجدادكم في الطليعة ...

(1) نفسه: ص99.
(2) عيسى عبد الله: ديوان: حذو ما قالت حَذام: شعر : مجلس الثقافة العام، ص 176.

بهذا قد عبّر هذا الجيل في هذه المرحلة من مراحل الشعر العربي فى تشاد عن مشاعره وعواطف تجاه وطنه الصغير والكبير من العالم الأفريقي والعربي، واهتم بقضايا الوطن والمواطن وتطلع إلى الحرية رافضاً الظلم والاستعباد والاستعمار حاثاً الشعوب الى المحافظة على قيم الحرية والنضال من أجلها. هذه المرحلة من مراحل الشعر العربي والمجددين منهم خاصة من بينهم الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي وهو شاعر الوطنية فى هذا البحث.

المبحث الثانى

الوطنية فى شعر عبد الواحد حسن السنوسي

إن الشاعر عبد الواحد أحد شعراء العصر الحديث في الشعر العربي فى تشاد، وصنف ضمن شعراء التجديد فى هذا العصر، وكان يتمتع بوطنيتة الصادقة، وحبه لوطنه تشاد والانتماء له وإفريقيا والعالم العربي والاسلامي، ويتفاعل مع قضاياه المختلفة.

وكما أن الشاعر تتوفر فى وطنيته كل خصائص الوطنية في الشعر العربي عامة ممثلاً في: قوة العاطفة الجياشة وصدقها، وتمجيد البطولات، واستنهاض همم الشعوب، وترسيخ قيم الحرية التي تتطلع إليها الشعوب الباحثة عن الحرية والعدالة ورفض الظلم واستبداد المستعمر ضد الشعوب المضطهدة التي عانت من ويلات الحروب والتدخل الأجنبي واختلاس الأموال والأفكار والمأساة.

فكان عبد الواحد يحن إلى الوطن تلك البقعة التى رمز لها بالأم الحنون والتي عاد اليها بعد طول غياب، ويشكو لها ما يقاسيه من ألم الغربة والحنين إليها حاملاً شكواه في كفه، ومرة يرمز لوطنه افريقيا السمراء بالمحبوبة المعشوقة التى غاب عنها بعيداً متمنيا لم الشتات لتسقي من حنانها.

كل هذا التعبير الصادق الذى عبر عنه وألم الفراق عن الوطن من أصعب الألآم وأشدها فلن يجد الشاعر أحن من حضن وطنه ولا أدفء منها.

ثم ينتقل عبد الواحد إلى الوطن الأوسع ألا وهو العالم العربي والإسلامي، اهتم بقضايا العالم الاسلامي وما لحقه من حروب أهليه ودولية، ومجد البطولات، واستنهض همم الشعوب ودعا إلى الحرية وقيمها ورفض الظلم.

كل ذلك تناوله الشاعر فى قصائده المتنوعة والتى سنتناول بعض منها فى هذا البحث المتواضع.

المطلب الأول: **التعريف بالشاعر: عبد الواحد حسن السنوسي**

المولد والنشأة:

ولد الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي 1967 فى مدينة (فايا) حاضرة إقليم: يركو – إينيدي – تيبستي، بشمال تشاد، وسط عائلة دينية معروفة، وكان أبوه شيخاً داعية الشمال الأول بفضله انتشرت الدعوة الإسلامية في كل ربوع بقاع الشمال التشادي فطل والده يدعو طيلة أربعين عاما، ابتداءً من 1948م حين أقبل من سوريا التي تلقى فيها العلوم الدينية حتى عام 1978 حيث وافته المنية فى منطقة كردمي التى تبعد عن مدينة (فايا) بستين كيلو متراً.

أما والدته فاطمة أحمد فقد حفظت جزءاً كبيراً من القرآن الكريم على يد زوجها حسن السنوسي كما أكملت الجزء الباقى بجدها الخاص، ثم واصلت الدراسة حتى تخرجت من معهد المعلمات مدينة (أجدابيا) بليبيا ثم اصبحت مديرة معهد الشعلة لتعليم البنات بنفس المدينة وكانت تعلم النساء بلغة (القرعان).

المراحل الدراسية:

انتقل عبد الواحد فى سن مبكرة من عمره إلى الجماهيرية الليبية واستقر بمدينة أجدابيا وهناك تلقى تعليمه الأولي، حيث درس الابتدائية والاعدادية بمدرسة زيد بن ثابت القرآنية بوسط المدينة، أما المرحلة الثانوية قد قسّمها بين السودان ومصر، حيث التحق بالمركز الافريقي بالخرطوم فى العام 1982م وقرأ جزءاً من المرحلة الثانوية ثم عاد الى تشاد قبل اكمالها ثم بعث الى جمهورية مصر العربية فى منحة دراسية حيث التحق بمعهد الأزهر الشريف ونال منه الشهادة الثانوية عام 1986م بعدها عاد إلى تشاد وذلك في العام 1987م. ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الأنسانية قسم الأدب الانجليزي بجامعة إتحمينا إلا أنه لم يكمل دراسته بهذا القسم فالتحق فى العام الذى يليه 1988م بالسلك العسكري، وبعث الى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة فى سلاح المشاة والدبابات، والمتخصص فى إنزال المظلات، وبعد إتمام هذه الدورة التي استمرت سنتين عاد إلى البلاد ثم ذهب في بعثة أخرى إلى العراق في العام 1990م.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالرحلات والتنقلات والتجارب والممارسات استقر به المقام فى مدينة انجمينا العاصمة التشادية يمارس عمله كمسؤول عن الخلية للمفوضية الوطنية لنزع الألغام، وأخيراً تحول إلى التليفزيون التشادي للعمل به كصحفي محرر ومراسل.

أخلاقه وصفاته:

كان الشاعر عبد الواحد شاباً طموحاً ذكياً بل في غاية الذكاء، موهوباً لقد أوتي فن الإلقاء، وكان في نظمه للشعر يستلهم التاريخ الاسلامي ويلقيه ببراعة وطول نفس.

أما أخلاقه فقد كان عبد الواحد زميلاً لكثير من الشباب ولم تنقصه الحنكة في جذب أحسن الأصدقاء إليه، فلم يكن غضوباً أو عابساً، بل تجده مبتسماً ضحوكاً، بل كان متجدداً فى جميع أعماله.

شخصيته:

كانت شخصية عبد الواحد قوية يعتمد على نفسه كثيراً من أموره، ولا يحب الاتكالية وكان إذ وجه نقد لأحد ينقده بقوة وبدون مجاملة، أما إذا وجه إليه نقداً فلا يرحب به، وكانت شخصيته تمثل شخصية الرجل التشادي الشمالي الشديد الانفعال.

ثقافته ونشاطه السياسي:

كان عبد الواحد يحفظ جزءاً كبيراً من القرآن الكريم منذ صغره حيث كان فى المدرسة وكان يجيد اللغة العربية لدرجة التفلسف بها والتلاعب بألفاظها، ويكتب بها قصصه وينظم بها شعره، وكذلك يجيد اللغة الانجليزية والفرنسية أما نشاطه الثقافي:

قد تمثل الشاعر عبد الواحد أكبر دور قام به في المؤتمر الوطني المستقل الذى عقد فى 15 يناير 1993م والذى انتهى باقرار العربية فى الدستور إلى جانب الفرنسية فقد كانت له مساهمات فى هذا المؤتمر وخاصة بشأن اللغة العربية.

- كان عضواً مؤسساً للندرة التشادية للثقافة والفن: اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد 1993.
- كان أمين الثقافة باتحاد شباب تشاد الاسلامي ما بين 1987–1949م.
- كان عضواً مؤسساً لمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية فى تشاد 2000/11/15م.
- كان عضواً مؤسساً لاتحاد الطلبة التشاديين وسكرتيرها الأول عام 1993م.

له منشورات فى الصحف التشادية مثل: انجمينا اليوم، والحوار اللتين نشرتا مقالاته وقصائده الشعرية فى أعدادهم المختلفة للعام 1994–1999م.

من المقالات التى نشرت منها: مجرد فلسفة – الوصايا العشرة – الهواة الأدب والشعر العربى في بلادنا – صرخة في وادى العرب، نشرت تحت هذا العنوان عدة مقالات متسلسلة فى أعدادها الصادرة فى العام 1994م – الشعر الدارجي الى اين؟ – فقهاء المرارة يرفعون البلاء وينزلون الشفاء ويستعينون بالنساء – يا عباد الرحمن ساعدوني فى البحث عن قبيلة اسمها تشاد – اللغة والشعر وفنونهما، ومقالات متسلسلة نشرت فى جريدة انجمينا اليوم فى اعدادها للعام 2000م.

وله ثلاثة قصص هي: حلم ليلي – فارس السرج – غداً تنطفئ الشموع، وله مجموعة قصائد جمعت من اعداد جريدة انجمينا اليوم، وصحيفة الحوار وكراستين بخط الشاعر وقصائد أخرى متفرقة منها معلقته (وارا) والتى تتكون من 133 بيتاً وقصيدته: تشادية وغيرها.

نشاطه السياسي:

فيمثل كونه جندياً مقاتلاً قبل كل شئ، ثم أنه كان عضواً مؤسساً لحزبين من أجل المعارضة التشادية هما: الاتحاد من أجل السلامة والديمقراطية (UPD) والحزب الديمقراطي الافريقي PDA. أما:

تكوينه الابداعي:

هناك عدة عوامل ساعدت شاعرية عبد الواحد وتتمثل فى العوامل:

الداخلية:

وتتمثل فى الموهبة الفطرية والاستعداد النفسي اللذين يتحمل بهما الشاعر منذ نعومة اظفاره بهما. أما:

الخارجية:

هى تلك البيئة التى اكتسبها من البيئة المحيطة به وتتجسد فى مرحلتين:

1- مرحلة الدراسة: وهى مرحلة التجارب العلمية، وتعتبر مرحلة الدراسة هى الرافد الأول الذى نمى معارفه سواء عن طريق التلقين فى المراحل الدراسية: ابتدائى، اعدادى، ثانوى، أو مرحلة المطالعة الحرة، وقد حكى نفسه أنه كان يقضي ساعات طوال فى المكتبة الخضراء بمدينة أجدابيا يقرأ فيها ما تهواه نفسه:

2- مرحلة التجارب الإنسانية:

هى التى تتمثل فى الرحلات والتنقلات من بلد الى بلد آخر بما في هذه الرحلات من مواجهة الصعاب وتحديد شخصية القرد التى عاشها عبد الواحد من خلال قصصه الاسطورية.

مكانته الأدبية:

يعد حضور عبد الواحد الشاعر الأديب واضحاً ملموساً فى الساحة الثقافية والأدبية، فقد شارك بقصائده العمودية والحرة فى كثير من الأُمسيات الشعرية والندوات العلمية، والاحتفالات الوطنية، والذكريات التاريخية التى تقام فى البلاد من حين لآخر، كما عرفته الصحف والمجلات المحلية والوطنية بمقالاته الأدبية واشعاره الوطنية.

كتب عنه صديقه الصحفي المذيع والأديب الشاعر: عز الدين مكي اسحاق مقالا في جريدة انجمينا اليوم في عددها الصادر فى فبراير 1994م بعنوان: مطلوب القبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية: ولو أني أملك القرار لحبسته فى قصر يطل على نهر شاري ليتفرغ فيه للإبداع، فـ عز الدين لم يكتب هذا المقال إلا لمعرفته بمقدرة عبد الواحد الابداعية فـ عبد الواحد له مقدرة الابداع، لكن ظروف الحياة

هي التى حالت وتحجّث من نشاطه الفردي، ومع ذلك لم يقصر ولم يتوانى فقد صديقه أبرع من المقال الذى نشره، وهى:

بعنوان: (أني موجود يا مكي): ومطلعها:

مطلــوب القــبض علــى شخصــي عنـــــوان قارئـــــه يحتـــــار
انجمينـــــا اليـــــوم تســـــجله فـــي آخـــر عنقـــود الأخبـــار

إلى آخر القصيدة: ومن إبداعاته: كتب د/ عبد الله حمدنا الله مطلعاً لقصيدة بعنوان:

تشادية : مطلعها:

وفـــــي العينـــــين عنـــــواني تأمـــــل ســـــحر عينـــــى
ســـــقاني الله مـــــن شـــــاري وأبـــــدع حلقـــــه فـــــيّ

آملا أن يكملها الشعراء التشاديون، وقد حاول مع أكثر من شاعر ولكنهم لم يكملوها فأعطاها المطلع لـ عبد الواحد في آخر المطاف فأتمها وألقاها في حفل افتتاح المؤتمر حول وضع اللغة العربية في تشاد حيث أبدع فيها.

اتجاهاته:

الاسلامي، الوطني، الاجتماعى، السياسي، ويعتبر عبد الواحد من شعراء العصر الحديث، وقد ذكره، أ.د./ عبد الله حمدنا الله أن عبد الواحد من المجددين المبدعين.

وفاتــه:

توفى عبد الواحد رحمه الله في يوم الجمعة 15 من شوال 1431هـ الموافق 24 سبتمبر 2010م بمدينة انجمينا إثر نوبة قلبية وهو في سن الثالثة والأربعين دون أن يتزوج. وقد رثاه كثير من الشعراء منهم الشاعر على يشير فى قصيدته يا فارس الحرف.

المطلب الثانى: **خصائص الوطنية فى شعر عبد الواحد حسن السنوسي**

الشعر الوطني هو كل ما كتب عن الوطن والوطنية من شوق إليه أو حزن أو رثاء على حاله، والعلاقة بالوطن سمة بارزة في الشعر الوطني، حيث أن غربة الشاعر عن وطنه والحنين إليه والشوق له، ورفضه للظلم والاستعمار ومعاناة الشعب أو رسم صورا عن وضع ما، وآلام الشعوب ونضالها للوصول إلى الحرية والاستقلال تجعل الشاعر يشبح عبارات تصف وتعطى صوراً لكل ذلك، وقد يتمثل خصائص الشعر الوطني فى:

الحنين إلى الوطن:

الإنسان لم يختار بلده ولا أرضه لكنه يختار حبها حيث ولد فيها من أول خطواته ومشى فيها ونطق فيها بكلماته ولا يعرف هذه العلاقة بين الروح والأرض إلا من ذاق مرارة البعد عنها، فمن البديهي للمعذب المشتاق البعيد عن وطنه أن يكتب بمداد قلبه لا قلمه ومن هنا لابد أن يكون صادقا في عواطفه فترى لهيب الحنين يتأجج فى صورة وهذا الحنين إلى الوطن هو الاعتراف بالفضل ونكران الجميع والرمز إلى الوطن بالام الحنون والزوجة المعشوق، هذه الحالة النفسية التى أصابت الشاعر عبد الواحد الذى غادر وطنه وأهله وعشيرته لمدة من الزمن فشعر بالضيق والإكتئاب والقلق والحزن الشديد شوقاً لوطنه ممثلاً في ترابه وسمائه وشمسه وقمره وحياله واشجاره وذكريات طفولته وأحاديث أهله وجيرانه وأزقته وشوارعه وبيوته معبراً عن هذا الحنين بكلمات تقعقع من لسانه وعواطف تدغدغ مشاعره وأحاسيس اشواقه للوطن الحبيب متلهفاً لشوق طال عن تشاد الحبيبه رمزاً لها بالآم الحنون الرؤوم فلو لم يكن الوطن غالباً لما رمز له له ويسمي بلام عائداً الشاعر إلى مهده الصغير بعدما عانى من الغربة والالم مخاطباً إياه في قصيدته:

(عودة الطفل العنيد) بقوله:

ها أنا أمّاه قد عدت وقد طال غيابي
حاملاً قلبي على كفي جواباً في إيابي
ها أنا أمّاه قد عدت إلى مهدى الصغيرْ
بعدما أيقنت أني لم أزل طفل كبيرْ
ها أنا أمّاه قد عدت وفي ركبي بتاريخ الندمْ
غائر العينين حاني الرأس موفور الألمْ
عدت من دنيا الأماني من وجود كالعدمْ[1]

كل تلك الفترة التي عاشها الشاعر في الغربة وقد عانى ما عانى نادماً غائر العينين وهو كتابة عن التعب والارهاق الشديد حاني الرأس يعانى من ألمها، عائداً الى الحياة من جديد قائلا:

ها أنا أُمّاه قد عدت وقلبي يتفطر
بعد ما بحّ صوتي في ندى من ليس يؤمر
ها أنا أُماه قد عدت وحلمي قد تبخرْ
ها أنا أُمّاه قد عدت وذهني تحيّرْ
ليس في ماضى حياتى غير طفل قد تكسّرْ

[1] نتائج الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي: المطبوع والمخطوط: ص122، مكتبة الباحثة.

ها أنا أُمّاهُ قد عدتُ وفي ظهري جنجرْ
ها أنا أُمّاهُ قد عدتُ خيالاً ليس يبصرْ
ها أنا أُمّاه عدتّ لعلى فوق مهدى أندثرْ[1]

شكى الشاعر لوطنه تلك الأيام العصيبة التى فيها تفطر قلبه وبح صوته وتبخر حلمه وأصبح وحيداً يتحسر آبياً وقد طعنته الحياة بخنجرها وهنا كناية عن خيانه الدهر له آبيا ليندثر فى مهده الصغير الذى يجد فيه الدفء والحنان في أرض الوطن.

يعد كل هذه المعاناه بما فيها من الندم وإعادة الحياة فى وطنه الحبيب مخاطبا الوطن الأم أنه عائد إلى دفء يديها لعله يستدرك ما فات من عمره طالباً منها أن تمد ساعديها وتضمه إليها ونزرع الإيمان فى روحه كما في مقلتيها، تعد له فراشه ليذهب عنه خوفه وارتعاشه، قائلاً:

ها أنا أماه قد عدت الى دفء يديكِ
عدت استدرك ما قد فات من عمرى لديكِ
ها أنا أماه قد عدت فمدى ساعديكِ
ها أنا أماه قد عد فضميني إليكِ
وازرعى الايمان فى روحي كما في مقلتيكِ
ها أنا أماه قد عدت فعدي لي فراشي
واحضنينى على أن يذهب خوفي وارتعاشي[2]

يواصل الشاعر فى هذه القصيدة خطابه لوطنه الأم بعد عودته من تلك الحياة اليائسة أن يحكى لها حكاية الحزن العميق يحكي لها الحزن الشديد الذي عاناه منذ البداية وحتى النهاية، يحكي قصته عندما يخيم الليل وهو مصدر الهام الشعراء وصديقاً وملاذاً آمناً ليعبر عنه الشاعر عن خلجات الصدر، وكونه مرعى لتغذية الروك، والليل هو محور الحركة والحياة والإلهام، وصورة مشرقة رغم طلمته: والليل هو السكون والجمال والهيبة والخوف والبرد والدفء لهذا أخذ الشاعر فى أبياته هذه نصيباً لليل، فتبقى صورة الليل فى شعر عبد الواحد لها قيمتها الفنية الرائعة فى هذه الأبيات بقوله:

ها أنا أماهُ قد عدت وفى قلبى حكاية
إنها قصة عصفور غدى للحزن غاية
ويقول:

---

(1) نفس المصدر، ص 123.
(2) نفسه ص 123.

فإذا ما خيم الليل على الدنيا ووشاها النسيم
فسأحكي قصتى فى ذلك الليل البهيم
فاسمعى اماه مني واسمحي الأدمع عني
إنها قصة كل الكادحين
إنها قصة كل البائسين
إنها قصة كل الحائزين
إنها قصة كل الضائعين
إنها قصة أبراج النجوم
قصة الإنسان هذا باحثاً عن مصدر النور بأعمال السديم[1].

فيواصل الشاعر حكايته لوطنه الأم سارداً لها القصة عندما غادر وكره آملا أن هناك آمالا وأحلاما يحققها ولم يعلم أن الحياة ترم به وأنه يرجع إلى الوطن الأم حاملا على كتفه الغبار وفى وجهه وصمة وعلى ثغره لحناً ولم أن الله لا يخلق سوى الرحمى فى قلبها مخاطبا إياها بقوله:

لم أكن أماه أدري أن أقدامي ستدمى
لم أكن أعلم إنى سوف آتيك وفى صدرى نقمة
وعلى كتفي غبار وعلى وجهي وصمة
وعلى ثغرى لحن لقنتنيه الليالى المدلهمه
بعدما أيفنت ان الله لم يخلق سوى قلبك يا أماه رحمة

هكذا تنتهى قصة الشاعر التى رمز لها بالطفل العنيد الذى تبخرت أحلامه وأمانيه عندما اصطاد في الطين القذر فأصبحت حياته دليلا للأحزان والعيش النكد، وصعاب الغربة، فيقول:

إنها أقصوصة الطفل العنيد
حيث خلى الصيد فى النهر وراح
راح فى الطين يصيد
فالتقى في الطين اقذارا وخبثاً .. ما عليه من مزيدْ

ويقول:

قصة الآمال غرقى في محيطات الجمودْ
إنها قصة طفل مات إذ كان وليدْ

[1] نفس المصدر، ص123.

إنها قصة طفل كان للأحزان آية[1]

هذه هى مظاهر الحنين فى شعر عبد الواحد الذى تطيب له نفوس ولهو دليل على نزعته الوطنية وطهارة مولده وأثر من آثار البيئة التى تنشأ فيها، وأحيانا ينتقل الى وطنه الصغير تشاد مرة أخرى رامزاً للمحبوبة.

وهنا لم يبعد كثيراً عبد الواحد عن تلك الحالة التى يعيشها عاشق فى الحب. لقد افتقد عبد الواحد وطنه وافتقد الأُنس والشعور بالأمان مثلما يفتقد شعور المحب مع محبوبه فيتذكر تلك اللحظات لحظات المساء بما فيها من الصفاء والأنس والهدوء والطمأنينة ففي قصيدته: (مذكرات بحّار مجهول) يراجع تلك الذكريات فى المساء حيث الأنس مع المحبوبة ذات اللون الأسمر الذى يفضّل فى المرأة الافريقية لما فيه من قيمة جمالية وميزة أصلية، وأيضاً تعريف افريقيا بالقارة السمراء، حيث يقول:

مســـــاء الخيـــــر يـــــا كبـــــرى مســـــاء الخيـــــر يـــــا ســـــمرا

مساء الحب والذكرى

أرى عينيـــــــك يـــــــا كبـــــــرى علـــــى بعـــــد المـــــدى عِبـــــرا!؟!
لمـــــاذا الـــــدمع يـــــا كبـــــرى؟ لمـــــاذا الحـــــزن يـــــا ســـــمرا؟
أمـــــا ســـــنعود يـــــا ســـــمرا؟ يـــــلا ســـــنعود يـــــا كبـــــرى

وحق المقلة العبرى[2]

ثم يواصل حنينه وشوقه الى كبرى وسمرا الوطن المحبوب الذى يحن الى سلام الدفء في عينيه متمنياً لم الشمل بعد الشتات ويسقى من حنانها لتُطفى أحاسيس نيران الغربة فى أعماقه، فيقول:

أحن إليك يا كبرى
أحن الى سلام الدفء فى عينيك يا سمراء
الى يوم يلمّ شتاتنا بَلُمُوُ
ويسقيني من حنانكموُ
ويطفئُ فى أحاسيس لظى أعماقي الحسرى

(1) نفسه : ص125.
(2) نفسه : ص 144.

مساء الخير يا كبرى مساء الخير يا سمرا
مساء الحب والذكرى[1]

كما تناول الشاعر ذكر المحبوبة فى قصيدته: (البكاء على صور أفريقيا) وتبقى هنا المرأة كمرأة بل حضورها فى المشهد الإنسانى بل ويأتى ذكرها في رسالته الإنسانية التى جعلته شاعراً ينادي بها فى كثير من شعره يطلب منها التمهُّل لأنه يهواها فيزرع أحزانه في عيونها وتسقى اشجانه دموعها قائلا:

مهلاً سيدتى أنى أهواك
أني أهواك ولكنّ
أخشى من بطشك إذ أني
كالفرخ المرد لا أقوى
كالغصن الأجرد لا أقوى

ويقول:

مهلا سيدتى مهلا
إنى أهواك لا تبكي
فعيونك تزرع احزاني
ودموعك تسقى اشجانى
وتكاد تمزق أركاني

ويقول:

من أجل عيونك سيدتى
من أجل دموعك سيدتى
من أجل عذابك سيدتى
فماذا العجلة ملهمتى[2]

بهذه العبارات يعبر الشاعر عن حنينه الى الوطن تعبيراً صادقا يتميز بـ صدق العاطفة وقوتها:

عندما يتغنى الشاعر بوطنه إنما يعبر عن عواطف صادقة قوية لدرجة أنه ينقل الأحاسيس فيشتاق لأرضه ويعشقها، لأن الحالة التى يعيشها تظهر فى شعره فالموافقة بين الشاعر والشعر هى التى تغذي صدق عاطفة الشاعر، وهى التى تسيطر عليه وهى المحرك

(1) نفسه : ص 145.
(2) نفسه: ص 126.

الأول للعمل الأدبي والابداع ولا تتحقق إلا بالخيال أو الصورة الفنية واستخدام الكلمات باسلوب معين، وتتميز صدق العاطفة وقوتها عند عبد الواحد فى قصائده عامة والوطنية خاصة لما تتميز به من بساطة ومعانى جميلة ورتابة رائعة ومن ذلك قوله فى قصيدته: (دمعة فرح) يصف فيها رجوعه بعد غياب طويل لموطنه (فايا):

عـــادت إلـــى الـــروح بعـــد رجوعهـــا ... لحماتهـــــا أرض الحبيبـــــة (فايـــــه)
وكفكـــف الـــدمع الهميـــر وداعبـــت ... عبـــرات تـــوق ضـــمامها خدايـــة
وجـرت دمـاء العـز فـي جسـدى كمـا ... قـــد ذرفـــت عبراتهـــا عينايـــة
وســـجدت شـــكراً للالـــه معظمهـــا ... نجداتـــه اللائـــي ظللـــت خفايـــا
يـــا وردة الصـــحراء يـــا ريحانهـــا ... ياكـــل احلامـــي ول منايـــة
صـــبراً فســـوف فجـــرك حاصـــلا ... لمكائـــد الأعـــداء شـــر نهايـــة
ويظـــل بطشـــك بالعـــدا متســـطرا ... فـــى صـــفحة التـــاريخ أعظـــم آيـــة[1]

فهذه الابيات نجد عاطفة الشاعر قوية صادقة نحو موطنه الأصلى والحنين اليه كما نجد صدق العاطفة وقوتها فى قصيدته: (عودة الطفل العنيد) فى قوله:

ها أنا أُمّاه قد عدت رماداً تحت رايات الرياح.
ها أنا أماه قد عدت خيالاً أعملت فيه الرماح
ها أنا أماه قد عدت بشئ من كيان مستباح
عدت يا أمى وما بي غير هاتيك الجراح[2]

إذا نظرنا فى هذه الأبيات تجد الشاعر مخاطبا وطنه الأم الذى عندما عاد إليها عاد رماداً تحت الرياح حاملاً الجراح والبؤس والألم والشقاء، هذه هي قوة العاطفة وصدقها تثير مسامع القارئ ثم يتحدث ويتناول فى شعره:

تمجيد البطولات:

كان الشاعر عبد الواحد يتضامن مع الشهداء ويحي الأبطال الذين يجسدون صورة ملحمة تاريخية لبطولات أناس ضحوا لتظل صور بطولاتهم حية راسخة وتكون مضرب مثل فى التضحية والفداء، ومدرسة فى حب الوطن وقيادته الرشيدة، وهم فخر واعتزاز لما قدموه فى سبيل الوطن ودعم الشعوب، وتوفير الأمن والأمان والحفاظ على القيم النبيلة، وولاءهم للوطن، ويرى أن الشعب التشادي مرتبط بقصص أبطال شهدائه البواسل، وتقديرا لما قدموه

(1) نفسه ك ص 110.
(2) نفسه : ص 123.

من تضحية لترسيخ معنى الانتماء والولاء للوطن وحفظ التاريخ المجيد، وستبقى العز بالبطولات والفخر بهم حضوراً فى الذاكرة يمتلك النماذج المضيئة للوطن الذين أثبتوا الصفات الحميدة والعقيدة والراسخة فى الدفاع عن الدين والدولة ورفض الظلم والاستبداد والاستعباد. وانقاذ الأرواح، فهم قيم فى الشجاعة والبطولات والتضحية.

فعبد الواحد كان وطنيا بالفطرة فيمجد ما قدمه أبناء أمته من بطولات عبر الزمن ولا تموت اسماءهم وقد تناول كل ذلك فى معلقته: (معلقة وارا) قائلا:

إن اليمين هنا له أصحابه ... لايفترون وليس بعجزهم فِدا
وكذا الشمال له هنا اصحابه ... لم يفلحوا بالأمس دَعْ عنك الغدا
باكبكب السفاح شادو فخرهم ... لكننا بالعلم شدنا سؤددا
وأراق كبكبهم نجيعاً أحمرا ... وأرق معهدنا مداداً أسودا

إلى قوله:

فى أرض حلال ومنقلمى التى ... صارت لثورات الشمال مجلدا
ويقول وارا التى كانت شرارة ثورة ... بقصورها اللالي شمخن تمردا
علماؤها وملوكها كانوا معاً ... شمسا ينير لنا ونجماً أسعدا
حملوا لواء الحق خفاقاً الى ... كل البقاع تصبراً وتكبدا[1]

كما يمجد البطولات فى قصيدته: (كلنا فى الضاد شرق) يقول:

وامتداد لخطى أسلافنا ... إنما النار نتاج للشرر

الى قوله:

بارك الله رجالاً صارعوا ... كل صعب من صعوبات الغير
وأقاموا صرحها واستقبلوا ... بسلاح العلم آت مستتر[2]

بهذه العبارات وبهذا الاسلوب الرشيق يمجد الشاعر البطولات الوطنية، ويريد بذلك:

استنهاض الهمم:

فالشاعر عبد الواحد سلامة الوحيد الذى ندافع به هى الكلمة، وأنه يغار على وطنه ومصالحه ويسعى وينادى دائما لتقوية أبناء الوطن بعبارات تؤثر فيهم وتشحذ هممهم

(1) معلقة وارا: مطبوعة على الكمبيوتر : ص 4، 6.
(2) نتاج الشاعر عبد الواحد حسن السنوسى: المطبوع والمخطوط، ص216، مكتبة الباحثة.

ويذكرهم بهموم أمتهم وآلامها ومشاكلها والسعي لحلها ويذكرهم بخيرات وطنهم والحفاظ عليها.

وهذه المرة تتناول استنهاض همم الشعوب العربية فى قصيدته: (حيّوا العراق) فيذكر أهل العراق بامجادها التي ظلت باقية رغم كيد كل كافر وسيستمر مجدها خافقاً رافعاً فيقول:

حيُّوا العراق:

حيوا الحضارة والعراقة تسموان الى مدى السبع الطباق

الى قوله:

لكنما المجد يظل باقياً برغم كيد كل كافر فساق

رغم تياح الأكلب التى سعرها الغرور

رغم توالى الرفس والنهاق

سوف يعود أهل الغاب بالاخفاق

ويستمر المجد خافقاً ورافعاً ببرقه الخفاق

حيو العراق[1]

يستنهض الشاعر همم الشعوب الحرة الأدبية التى لا ترضى بالذل والإهانة كما ينادى الشاعر بـ:

ترسيخ قيم الحرية:

أهم عنصر من عناصر الوطنية "فكل من أحب وطنه ومجّد أبطاله واستنهض همم شعبه لا يرضى لنفسه ولا لبلده الذل والهوان، وقد أكد الشاعر أهمية قيم الحرية وعمل ترسيخها لتبقى عالقة بأذهان الشعوب وكل قصيدة من قصائد الشاعر ستلحظ فيها ترسيخ قيم الحرية ملموسا بين سطورها.

ويتساءل الشاعر عبد الواحد المساء الذى يضئ سائلا عن ذكريات الإستعمار التى استمرت عقوداً وذاقت الشعوب فيها الويل والشقاء وبالصمود والمقاومة حتى أتت الحرية التى تنير الأرض فجلس يرقب ضوءها حتى فاحت عبير الورود وغردت البلابل وجرت الجداول وأتى الخريف بأمطاره، فيقول فى قصيدته (ذكرى الحرية).

واذا المساء أتى وقنديل المساء

ومضى ينير الأرض من وجه السماء

وجلست أرقب ضوءه عند العراء

ساءلت عن ذكراك قنديل المساء

---

(1) نسهك ص210.

ذاكراك اسئلتى لقنديل المساء[1]
وإذا تهادى الليل فى إثر النهار وأدبر
ومضت طوف الأمس تلحق بالزمان الأغير
ويدى ركاب اليوم حين الصبح اسفر
ساءلت عن ذكراك طيف الأمس
ذكراك اسئلتى لطيف الأمس[2]

الخاتمة:

بهذا العرض السريع عن الوطنية عبر مراحل الشعر العربى المختلفة، مروراً بالوطنية فى الشعر العربى فى تشاد استقراراً عند الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي والذى هو يعتبر محور البحث قد خلص البحث المتوضع الى النتائج التالية:

- يعتبر الشاعر عبد الواحد من اغرز شعراء الوطنية مادة وأوسعهم نتاجاً.
- الوطنية فى شعر عبد الواحد هى من فيض فطرته وإلهامه وليست من صنع الظروف أو التكلف.
- يمتاز الشاعر عبد الواحد برصانة الأسلوب وروعة الموسيقى، وسعة الأفق. وصدق العاطفة وقوتها.

- وأوصى كلية الآداب بجامعة المنوفية بجمهورية مصر العربية أن تستمر مثل هذه المنتديات حتى تعم الفائدة.
- وأوصى الباحثين أن يتنالوا فى البحوث العلمية والأدب منه القضايا الوطنية.
- وأوصى أن تدخل القصائد الوطنية فى المناهج الدراسية.

(1) نسه : ص 198.
(2) نفسه: ص199.